ISSN: 0331-1015

الأقلام

مجلة اللغة والأدب والثقافة

السنة: الثالثة عشرة العدد الرابع والعشرون

(يونيو 2015 م)

AL-AQLĀM

Journal of Arabic Language, Literature and Culture

VOLUME 13 NUMBER 24

(June 2015)

University of Maiduguri, Nigeria

الأقـــلام : مجلة اللغة والأدب والثقافة

الهيئة الاستشارية

الأستاذ الدكتور محمد أول أبوبكر ،
قسم الدراسات العربية ، جامعة بايرو، نيجيريا

الأستاذ الدكتور مصلح يحبى ،
قسم الدراسات الدينية ، جامعة جوس نيجيريا

الأستاذ الدكتور آدم محمد أجيري
جامعة ميدغري، نيجيريا

الأستاذ الدكتور سمبو جنيد،
جامعة عثمان بن فودي، نيجيريا

الأستاذ الدكتور محمد معاذ انغرو،
جامعة ميدغري نيجيريا

الأقـــلام

© كل الحقوق الخاصة بالملكية الفكرية محفوظة

يونيو 2015م

تصميم الغلاف: محمد الثاني عبد المؤمن

العنوان البريدي: مكتب التحرير ، قسم الدراسات العربية والإسلامية ، جامعة ميدغري ، ولاية برنو ، نيجيريـــــا

البريد الإلكتروني: aqlam2001@yahoo.com

AL-AQLĀM: *Vol. 13, No. 24 (June 2015)* pp. 02 – 16 © *Al-Aqlam*

بحوث ودراسات

البعد المعرفي في أسماء السور القرآنية

أحمد مرتضى

مقدمة:

حكى الإمام الزركشي-رحمه الله- أن"بعض المشايخ يقول العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق: وهو علم الأصول والنحو. وعلم لا نضج ولا احترق: وهو علم البيان والتفسير. وعلم نضج واحترق: وهو علم الفقه والحديث"[1]. على الرغم من المبالغة في هذا الكلام، لأن العلوم تنفجر، وموضوعات جديدة تستجد، وخاصة في هذا الآونة المعروفة بـ"عصر انفجار المعلومات"، وعطاءات القرآن الكريم متجددة لا تنقضي، – على الرغم من ذلك فإن القرآن الكريم يَبقى آية للأنبياء جميعا، ولا تختص معجزته بالنبي مُحَمَّد ﷺ وحده، وإن كان الكتاب منزّل أصالة عليه. وهذا واضح من حيثيات متعددة. وبالأخص أن القرآن حفِظ حرمة الأنبياء، وأشهد أنهم قد أبلغوا رسالات ربهم على وجه تام، وتضمن ما لا يحصى من الآيات التي تدل على صدوره من الله كلاما له تعالى.

وتُعد أسماء السور جزءا أساسيا من المنظومة المعنوية لفهم المحتوى الأساسي للرسالة المضمَّنة في كل سورة قرآنية. وهذا البحث يسعى لإبراز البُعد المعرفي المتضمن في أسماء السور المثبتة في المصحف المتداول، التي هي - بحق - كافية وحدها للشهادة على شمولية القرآن الكريم. ومن زاوية أخرى يتولى البحث شرح الجوانب التي تدل بالوضوح على الدقة المتناهية في اختيار الأسماء للسور ووضعها المواضع المناسبة، الأمر الذي يؤكد - من خلال أدلة ناصعة - على توقيفية التسمية لأسماء السور. والبحث منسوج بعيدا عن شطحات بعض

السيد احمد مرتضى محاضر في قسم الدراسات الإسلامية والشريعة، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا
e-mail: murtalamansur@yahoo.com

ISSN: 0331-1015

المعاصرين في دعوى الإعجاز العددي لمواقع سور القرآن أو أسمائها، لأنها بحوث متضاربة لا تستند إلى ساق، وفارغة لا ينبي عليها عمل ولا اعتقاد. ولم يخرج هذا البحث عن حدود الأدلة القرآنية والأحاديث الثابتة، مشفعة مع الآثار النقية عن السلف الصالح.

وكان بودي أن أجد بحوثا منفصلة عن هذا الموضع أو ما يقاربه، فكل ما أكثر العلماء من الكتابة فيه هو مطابقة مضامين السور لأسمائها. و رأيت أسماء مؤلفات، رغم أنها لم تقع في يدي، ولكن أحسب أنها تناولت الموضوع. منها بحث:"البُعد الحضاري لأسماء سور القرآن الكريم"، لسعيد بوعصاب. وللدكتورة منيرة مُحَمَّد ناصر الدوسري كتاب بعنوان "أسماء سور القرآن وفضائله". ولم أظفر بكتابين، فلا أتحقق بالتأكيد من تناولهما للموضوع. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

مفهوم السورة و مصدر التسمية:

"السورة" مفرد و جمعها "سور". وهي مشتقة عند بعض رجال اللغة من "أسأر" إذا أبقى فضلا في الإناء. وعلى ذلك فتهمز الكلمة "السؤرة". وهذا يعطي أن السورة قطعة من القرآن الكريم. وذهب جمهور أهل اللغة إلى أنها مأخوذة من "السورة"- بمعنى المكان المرتفع الجميل. فالسورة القرآنية تشبه السُّور من حيث العلو والإحاطة، وانبناء الآيات مرصوصة بعضها مع بعض، كما تنبني اللبنات بعضها فوق بعض[2].

وأما المفهوم المصطلحي لكلمة السورة فقد صاغ لها الكثير من العلماء تعاريف. والأوجز منها أنها:"طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع و مقطع"[3]. وسور القرآن متعددة، كما ذكر القرآن نفسه. قال تعالى:"وإن كنتم في ريب مما أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله (البقرة: 23)". وقال تعالى:"وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب، لا ريب في من رب العالمين. أم يقولون افتراه، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين" (يونس: ٣٧ – ٣٨). وقال:"أم يقولونه افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله، إن كنتم صادقين" (هود: 13). والنبي ﷺ هو القائم على تأليف القرآن، يذكر للصحابة بداية كل سورة ونهايتها.

ولا شك أن القرآن الكريم منزل من عند الله، وأحكامه منسجمة مع الفطرة البشرية، وهذه الحيثية وحدها مما يساعد على إدراك شموليته. ودلائل كونه من عند الله ظاهرة لحد

العيان في أسلوبه ومعانيه وفي الترابط بين آياته وحتى في تناسق السور ومواضعها في الترتيب المصحفي فذلك كله توقيفي بحت، بدليل ما رويته عائشة عن فاطمة أن رسول الله ﷺ قال: "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين"[4].

وبَدِيهٌ أن هذه العرضة الأخيرة تكون مكتملة على نسق المصحف المتداول. و قد حافظ الصحابة على هذا الترتيب منذ عهد النبي ﷺ، واستمر العمل عليه إلى اليوم. قال أوس بن أوس رضي الله عنه في قصة وفودهم إلى النبي ﷺ: "احتبس (رسول الله ﷺ) علينا ليلة عن الوقت الذى كان يأتينا فيه، ثم أتانا، فقلنا يا رسول الله احتبست عنا الليلة عن الوقت الذى كنت تأتينا فيه، فقال: إنه طرأ على حزبى من القرآن، فأحببت أن لا أخرج حتى أقرأه، أو قال حتى أقضيه، فلما أصبحنا سألنا أصحاب رسول الله ﷺ عن أحزاب القرآن كيف يحزبونه؟! فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة وحزب المفصل"[5]. ويؤيده ذكر ابن مسعود أسماء بعض السور مرتبة كما هي في المصحف. قال عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود: "يقول في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: أنهم من العتاق الأول، وهن من تلادي"[6].

والقرآن –بإجماع المسلمين- قد احتوى على أربع عشرة سورة بعد المائة. ولا ريب أن النظرة العجلى في هذه القائمة تبهر الألبّاء بإن الكتاب لاريب فيه من عند الله الحكيم، الخلاق، العليم. ويتحقق اللبيب بأن الله: "أنزله بعلمه، والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدا" (النساء: 166). وقد قال تعالى: "ما كان حديثا يفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (يوسف: 111).

ومُعظم السور القرآنية تحمل عنوانا واحدا وجيزا على مقدمتها اسما لها كما في هذه الأسماء: النساء، والأعراف، والأنعام، ومريم، بينما القليل منها روي فيه اسمان مثال سورة محمد وتسمى سورة القتال، وسورة غافر تسمى أيضا سورة المؤمن. وتحمل بعض السور ثلاثة أسماء فأكثر. مثال ذلك سورة الفاتحة فقد ثبت عن النبي ﷺ في تسميتها بسورة الفاتحة، وسورة الحمد، و"أم القرآن"، و"السبع المثاني". قال أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "أم القرآن: هي السبع المثاني، والقرآن العظيم"[7]. وكذلك سورة الإسراء تسمى أيضا سورة "سبحان"، وسورة "بني إسرائيل".

ولكن أود أن ألفت الأنظار إلى شئ مهمّ، وهو أن كثيرا مما يُحكى من الأسماء للسور إنما هي أوصاف ونعوت تُنعت بها، وليست أسماء مستقلة. وهذا المجال وحده هو الذي يعكس الاجتهاد في أسماء السور. كان ابن مسعود ﷺ يسمى "سورة الطلاق" بـ"سورة النساء الصغرى" أو "القُصرى"، نظرا إلى ما تضمنته من أحكام متعلقة بالنساء في صورة مصغرة، بينما "سورة النساء" المعروفة يطلق عليها "سورة النساء الكبرى" أو الطُّولى"، لأن أحكام النساء قد بسطت فيها[8]. ومثاله أيضا ما ذكره سعيد بن جبير – رحمه الله- قال: قلت لابن عباس ﷺ: سورة الحشر ؟ قال: قل سورة النضير"[9]. فهذه التسمية هي استذكار لما تضمنته السورة من إجلاء بني النضير، لذلك اهتم ابن عباس أن يلفت الأنظار إلى ذلك.

وثبت عن ابن عباس كان ينعت سورة البراءة أو التوبة بالفاضحة. روى ذلك سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة؟ قال: التوبة بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم، ومنهم!! حتى ظنوا أنه لم يبق أحد منهم إلا ذكر فيها"[10]. الظاهر أنه اشتق لها اسم الفاضحة من وَاقِعِها في تفضيح المنافقين ومن شايعهم. ومثل هذا ليس اسما، إنما هي تسمية اعتبارية فقط، لأن ابن عباس ﷺ لم يكن يكرر هذا الاسم أو يُشِيعُه على أنه اسم آخر للسورة! وقد يستطيع فقيه بالقرآن أن يتدبر السورة ويخرج لها اسما آخر-بذلك المعنى- بحسب البيانات التي لاحظ فيها.

وهذا، مع أن بعض تلك الأسماء ينقصها صحة السند إلى من روي عنه التوصيف من النبي ﷺ أو الصحابة والتابعين. ومثاله تسمية سورة الملك بـ"المنجية". عن ابن عباس قال:"إن رجلا ممن صحب النبي ﷺ ضرب خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله إني ضربت خبائي على قبر و أنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها!؟ قال له رسول الله ﷺ: تلك المانعة (هي المنجية) تنجي من عذاب القبر"[11].

وتسمى سورة الكهف بـ"الحائلة" من قبيل التسمية بالنعوت. وذلك فيما روي عن ابن عباس قال إن النبي ﷺ قال: قراءة سورة الكهف التي تدعى في التوراة الحائلة؛ تحول بين قارئها و بين النار". وعلى الرغم من ذلك فإن السند لم يثبت[12].

والمثال من التابعين ما روى عن أبي عمرو بن العلاء -رحمه الله- أنه قال: "كانت "قل

وعلى أية حال، فإن أسماء السور مصاغة على وجه مختصر جدا، تؤخذ من وجوه مختلفة[14]:

أ. إما أن تؤخذ من أوصافها مثل سورة الفاتحة أو سورة الحمد.

ب. أو من قصة أو موضوع اختصت السورة بمعالجته وحدها نحو سورة لقمان، وسورة يوسف، وسورة البقرة.

جـ. وقد يؤخذ الاسمُ نتيجة للبيان الوافي الذي أحاطت السورة موضوعا ما به نحو سورة هود وسورة إبراهيم

د. وربما تكون بالإضافة لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة، وسورة التين.

وليس في القرآن سورة أُخذ اسمها من شئ خارج عنها، فكلها مأخوذة من السور ذاتها. فخذ على سبيل المثال سورة الأنفال، وسورة الكوثر، وسورة الفيل، فقد أخذت أسماءها من الآيات الأوائل في سورها، ذكرت مرة، ولم تذكر للمرة الأخرى. غير أن أغلب ما تكون الموضوعات المأخوذة منها اسم السورة إنما تذكر مرة في السورة في حدود آية أو آيات قليلة فقط، لا تعاد. خذ على سبيل المثال سورة الأعراف، فإن اسمها مأخوذ من قول الله تعالى:"وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم".

وتثار قضية كتابة أسماء السور في المصاحف هنا. فالظاهر أن هذه الأسماء كانت متعارفة بين الصحابة في عهد النبيﷺ وفي عهد كبار الصحابة، ولم تكتب في جملة القرآن المكتوبة. وإنما أُثبتت في عهد التابعين بكتابة مفصولة عن الآيات، بل قال الإمام قال الزركشي رحمه الله-:"إن أسماء السور لما كتبت المصاحف كتبت بخط آخر لتتميز عن القرآن" واستصاغ الناس ذلك من غير نكير[15]. والملاحظ أن السور ذات الأسماء المتعددة تكتب في المصاحف مع اختلاف في الاختيار. فتارة تثبت بعض الأسماء في بعض المصاحف مختلفة عما في بعض المصاحف الأخرى. غير أن الكثير من الأسماء لم تثبت في المصاحف، وإنما تركت في كتب علوم القرآن والروايات لندرس هناك.

واللافت للنظر أن كل ما اختير اسما للسورة يكون بالضرورة قد تضمن منافع مادية ومعنوية للناس، لأن الله الحكيم تعالى لا يُخصصه من الكثير القابل أن يكون اسما إلا لمزيد ميزة أو لإشارة إلى عبرة فيه. خذ على سبيل المثال سورة البقرة، فإن القصة التي ذكرت فيها البقرة خمس آيات فقط (من آية 67 إلى 271)، والباقي من الآيات حوالي واحد و ثمانين بعد المائتين تحدثت عن محاور متعددة وأشياء أخرى. وأهمية "البقرة" في جملة بهيمة الأنعام المباحة للإنسان غير منكورة. ولكن ما هي الحكم الظاهرة والمستنبطة وراء تخصيص "البقرة" بالتسمية؟ وهذا السؤال يمكن أن يُسأل إزاء كل اسم من أسماء السور القرآنية. ولا أشك أن تتبعه ينتج بحثا قيما يكشف عن فوائد علمية ومعارف نفسية واجتماعية كثيرة!

ولو ترك اختيار الأسماء المناسبة للناس، لخرجت اختيارات مختلفة، وتميقات متباينة لتصوير المغزى لكل سورة[16]. ولوجدنا لسورة- مثلا- سورة قريش عدة أسماء، فقد تسمى بسورة "الرحلة"، أو سورة "رب هذ البيت" أو سورة "الأمن من الخوف والجوع". وسورة البقرة- إن تركت التسمية مع أذواق الناس- قد تحظى بأسماء لا عدة لها من سورة آدم، أو سورة القبلة، أو سورة بين إسرائيل، أو سورة الحج، وهكذا... وقلّما يدور في الخلد تسميتها بـ"سورة البقرة"، لأن قصة البقرة واقعة في قصة نبي الله موسى مع بني إسرائيل، فقد لا تُلاحظ عند التسمية. وقس ذلك في سور طويلة، ذات قصص وأحكام، مثل سورة آل عمران، والنساء، والمائدة والأنعام وغيرها.

وجدير بالملاحظة أيضا أن أركان الإسلام الخمسة رغم أهميتها، والتي يجدر أن تكون لها عناوين خاصة، لو كان الأمر متروكا للناس في تسمية السور، ولكنها لم يذكر منها بالصراحة إلا سورة الحج وحدها. ولو سأل واحد، لماذا سورة الحج وحدها؟ لوردت أجوبة مقنعة من جهات كثيرة، ومع ذلك فإن أهمية موسم الحج في جمع قلوب المسلمين وأبدانهم في مكان واحد لغرض واحد قد كفى دليلا!

وفي القرآن تسع و عشرون سورة بدأت بـ"الحروف المقطعة"، ووجدنا أربعا وعشرين منها تحمل أسماء خاصة رغم ابتدائها بتلك الحروف. بدأت خمس سور بـ"الم"، وهي: البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولُقمان، والسجدة. وبدأ سورة واحدة بـ"المص" وهي الأعراف. و"الر" وُضعت لخمس سور، وهي: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر. و"المر" وضعت لسورة الرعد وحدها. و"كهيعص" لسورة مريم وحدها. و"طسم" لسورتين،

وبعض آخر ليس له اسم خاص، وإنما يضاف إلى الحروف المقطعة التي ابتدأت السورة
ا. مثال ذلك سورة "طه"، و "يس"، و "ص"، و "ق"، و لو كان الأمر بتفكير من
ناس، لكان الأقيس أن يوجد لها كلها أسماء خاصة بها، أو تترك كلها، و يكتفى بإضافتها إلى
لحروف المقطعة. ولو كان القرآن من عند غير الله لنسج صاحبه أو أصحابه أسماء على غرار
ا تعرفه العرب وتعظمه من الأشياء وتعايشه أمثال الحرب والإبل والجبال والرمال، وغير
ذلك.

وعلى الرغم من أن اسم نبي الله موسى-عليه السلام- قد ذكر في 129 موضعا، في 124
آية، وقصته قد تكررت مرارا، "ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تُسمى به مع كثرة ذكره في
القرآن، حتى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون كله موسى. وكان أولى سورة أن تسمى به
سورة طه، أو القصص، أو الأعراف لبسط قصته في الثلاثة ما لم يُبسط في غيرها!". لو كان
الأمر بيد الناس، فليس هناك مانع -في الحقيقة- من إضافة اسم إحدى تلك السور إليه، بينما
نبي الله يونس المضاف اسمه إلى سورة خاصة، إنما وقع اسمه الكريم فيها مرة واحدة، حيث
ذُكر مضافا إليه قومه في معرض ضرب المثال في قوله تعالى:"فلولا كانت قريةٌ آمنت فنفعها
إيمانها إلا قوم يونس، لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى
حين"(يونس: 98). وليس في السورة بأكملها ذكر لقصة يونس، وقصته موضحة فقط في سورة
أخرى، وهي سورة الصافات من آية 139 إلى 148.

قال الشيخ السيوطي-رحمه الله-:"رأيت في جمال القراء للسخاوي أن سورة طه تسمى
سورة الكليم. وسماها الهذلي في كامله "سورة موسى"، وأن سورة ص تسمى "سورة داود".
ورأيت في كلام الجعبري أن سورة الصافات تسمى "سورة الذبيح". وذلك يحتاج إلى مستند
من الأثر"[17].

توقيفية ترتيب السور القرآنية:

لا يزال العلماء في كتبهم -وفاء بالأمانة العلمية وحقوق البحث- يذكرون الاختلاف في
توقيفية ترتيب السور واجتهاديتها. والمعزو إلى الجمهور هو القول بالاجتهاد[18]، نظرا إلى أن هناك

روايات تذكر اختلافات في ترتيب السور في مصاحف بعض الصحابة، فدلّ هذا-في رأيهم- على الاجتهاد. ويؤيد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الرأي قائلا:"إن ترتيب السور لم يكن واجبًا عليهم منصوصًا بل مفوضًا إلى اجتهادهم؛ ولهذا كان ترتيب مصحف عبد الله على غير ترتيب مصحف زيد، وكذلك مصحف غيره"[19].

وليس هذا فقط، ويسند أصحاب هذا الرأي مذهبهم أيضا إلى ما رواه حذيفة أن النبيﷺ صلى بالبقرة ثم بالنساء، ثم بآل عمران في ركعة[20]. وقال القاضي عياض:"فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبيﷺ، بل وكله إلى أمته بعده"[21].

وفي الحقيقة إن الأدلة المذكورة لا تقوي على الاستناد ذلك الرأي بله أن ترجحها على القول بتوقيفية الترتيب[22]. لأن ترتيب آيات القرآن ترتيبا منظما متفق على توقيفيته، و هذا وحده لَدليل جلي على أن السور نفسها مرتبة بالوحي. لأن جبريل يأتي بالآية فيأمر بإلصاقها بأختها، ويرشد النبيﷺ الصحابة إلى ذلك. فكيف يقوم بهذا العمل الشاق في التنسيق بين الآيات ثم يغفل عن إتمام أيسر منه من حيث الترتيب و التنسيق بين السور؟! واليوم أصبح الرأي الأول- رغم وهائه- يُروّجه المغرضون، أو الذين لم يفهموا المسألة حق الفهم، و يلتقطه غير المسلمين من المستشرقين و غيرهم لقطة سائغة في التشكيك في القرآن نفسه.

ومعلوم أن القرآن منه مكي ومدني، حيث تأتي السورة المكية بعد السورة المدنية، كما في سورة القمر المكية وبعدها سورة الرحمن المدنية ثم بعدها سورة الواقعة المكية، وكذلك سورة البينة وسورة الزلزلة وهما مدنيتان، وقعتا بين جملة سور كلها مكية. وإخال الناس - حسب البداهة- قد يرون أن إفراد سور المكي وحده مميزا لها عن السور المدنية قد يكون- في نظرهم- منطقيا، ولو وُكل الأمر إلى الاجتهاد لكان تصنيف القرآن – فيما يبدو- وفق المكي والمدني. وتأتي السور التي امتزجت فيها الآيات المكية والمدنية بمفردها أيضا!

ومن جانب آخر، فإن سور القرآن تختلف من حيث الطول والقصر، ورغم ذلك هي مرتبة ترتيبا تصاعديا من القصار إلى الطوال أو تنازليا من قليلة الآيات إلى ذوات المئين، فلو تُرك اختيار ترتيبها إلى أذواق الناس، لاختلف الترتيب عشوائيا عما نشاهده الآن. فأتصور أن تكون سورة البقرة والسور الثلاث التالية لها تبقى في محلها لطولها، وسائر السور التالية لها لابد أن تتغير مواقعها. فتعود سورة الأنعام ذات 165 آية، والتي هي السادسة في الترتيب

المصحفي، قد تكون بحسب عدد الآيات هي الخامسة؛ الموقع الذي تشغله سورة المائدة ذات 120 آية في الترتيب الحالي. وهذا مثال فقط. فقِس عليه الباقي!

وقد أشار الشيخ السيوطي إلى مثل هذه النكتة. قال:

فإذا تحرر ذلك ونظرنا إلى محل الخلاف، فالمختار عندي في ذلك ما قاله البيهقي وهو أن ترتيب كل السور توقيفي سوى الأنفال وبراءة. ومما يدل على ذلك ويؤيده توالي الحواميم وذوات "الر"، والفصل بين المسبحات وتقديم "طس" على القصص مفصولا بها بين النظيرتين: "طسم" الشعراء، و"طسم: القصص في المطلع والطول. وكذا الفصل بين الانفطار والانشقاق بالمطففين وهما نظيرتان في المطلع والمقصد وهما أطول منها فلولا أنه توقيفي لحكمة، لتوالت المسبحات، وأخرت طس عن القصص، وأخرت المطففين أو قدمت، ولم يفصل بين :الر" و"الر"[23].

الشمولية في أسماء السور القرآنية:

الطرائق الدالة على شمولية القرآن كثيرة، ولا يهضم أغلبها إلا الفاقهون المتبحرون في العلوم، في حين أن العوام قد يودون أن يكون لهم نصيب من إدراك شموليتة هذا الكتاب العزيز. وإذا كانت الشمولية قاصرة على العلماء فقط، ولا يجد الناس على مختلف مستويات فهومهم واستيعابهم، فلا يصح ساعتئذ أن يُدعى فيه الشمولية! والشمولية ثابتة- بلا ريب- للقرآن. وإذا قورن القرآن –رغم أنه لا مجال للمقارنة- بالكتب السابقة التي لعبت بها الأيدي دسا وتحريفا يظهر الفرق واضحا[24]، بلْهَ الكتب التي عانى الإنسان في تبديجها وتمييق أساليبها التي هي عرضة دائما للحذف والتغيير والتقديم والتأخير والإلحاقات، فلا غور أن الفرق بينها وبين القرآن يكون أظهر!

وإذا قارنت بين أسماء السور في العهدين القديم والجديد نرى المفارقة واضحة. فإنها لا تضفي أي انطباع رباني، ولا تُوحي بربانية المصدر. ونثبت أهم الأسماء أوّلا ثم نترك القارئ بالمقارنة بينها وبين أسماء القرآن الكريم، لأنها واضحة لا تحتاج إلى كبير عناء لإظهار المفارقات.

أما العهد القديم يشتمل على ثمانية وثلاثين كتاب، وأهمها خمسة أسفار، وهي سفر التكوين ويسمى سفر الخليقة. وسفر الخروج، و سفر الأحبار، وسفر العدد، وسفر الاستثناء. والعهد الجديد يشتمل على سبعة وعشرين كتاب، وأهمها أربعة، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، و إنجيل يوحنا. والباقي كلها رسائل وأعمال الرسل.

والأخلاق والبيوع والزواج، والسياسة وما إلى ذلك مما يتصل بحياة الإنسان. ولكن لا ريب أن الطرق التي عرض الله تعالى فيها لدلائل معجزية القرآن تؤكد أن شموليته بينة بنفسها، وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. قال الله تعالى:"ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين"(النحل:89).

إن الشمولية- في الحقيقة- لا تدرك فقط من ناحية الأسلوب وبنْية الألفاظ، أو من ناحية المضمون والمعاني، ولكن تُدرك أيضا- حسب ما يشير إليه هذا المبحث- من فهرسة أسماء السور. وهذا الطريق-إذا فُهِم حق الفهم- فإنه يثبت قدرة القرآن على إشباع متطلبات الشرائح الإنسانية بمختلف درجات فهومهم والعلوم التي يتقنونها. و بملاحظة هذا الطريق المزمع شرحه في هذا البحث، ندرك أنه ليس بضروري لعوام الناس أن يتعمقوا في العلوم المختلفة لتفهم شمولية القرآن.

إن الفهرسة المذكورة تبدو لأول وهلة غير منظمة في الظاهرة! ولو كان من عند غير الله لكانت الفهرسة على غير النظام المعروف، بل لكانت وفق أهواء الكتّاب، حيث يجتهد الناس، في تنميقها وترتيبها ترتيبا يتوافق مع أذواقهم. ولكن يصدق كون القرآن من عند الله، أن الفهرسة- رغم عشوائيتها ظاهريا- لافتة للأنظار، ومفعَمة بالجاذبية المثيرة لغريزة حب الاستطلاع، فتدفع القارئ لها أن يستمرأ القراءة، ويحاول الاطلاع – من خلال سطور الفهرس- على البُنية التحتية لهذا الكتاب!

وقد يجرب من يريد التحقيق بأن يكتب أسماء السور مرتّبا إياها حسب هواه، ويأتي بفهرسة المصحف العثماني كما هي، ويقدم القائمتين الأصلية والمعيد ترتيبها إلى شخص غير مُلِمٍّ بالقرآن، فإنه يرى العجب؛ فإن فكر ذلك الرجل ينصاع إلى الترتيب المُصحفي، لتناغمه مع الطبيعة الإنسانية، وتدفّق السور وانحدارها عفويا كما ينحدر الماء من الجبل، تأخذ الألباب، وتساير مختلف العلوم الإنسانية وأحوال الناس. وأما الترتيب الجديد فإنه يبقى باهتا، لا تنعكس فيه الحكمة الإلهية، لصدورها من الإنسان الضعيف القدرة والعلم. فسبحان الله العلي العظيم!

وبالنظر إلى الفهرسة فإن المتخصص في علم العقائد يستطيع أن يعيّن بعض الأسماء التي تشير إلى العقائد أمثال: سورة الرحمن، وسورة التوبة. وكذلك المؤرخ، والمتخصص في علم

الأجناس فقد يجدان بغيتهما في دراسة الأسماء التالية: الروم، وسبأ، والحجر، و النبأ، و قريش. وكذلك العالم في الأطعمة فإن سورتي المائدة، والتين، وأمثالهما من السور التي تأخذ بتلابيب فكره، كما الطبيب -في أي فرع طبي يكون- فإنه يمرّ بسور تمس تخصصه، وتشدو الانتباه إلى التأمل المعمق فيه. وذلك أمثال سورة الإنسان، وسورة العلق. ولايقف الأمر عند هذا الحد، بل العالمون بالنجوم والأفلاك والمجريات يرون أسماء لسور هي الصميم في عملهم. فخذ على سبيل المثال هذه السور: الشمس، والقمر، والنجم، والليل، والطارق، والرعد.

والعالم المتخصص في علم الدواب يسمع بأسماء تطابق ما يدرس ويعمل عليه أمثال: النحل، والعنكبوت، والنمل، و الفيل، وغير ذلك. والعالم النفساني إذا قرأ سورة عبس، وسورة الانشراح، والممتحنة، وأمثالها يجد نقطة انطلاق لتحليلاته. ولدى التأمل توجد أسماء بعض السور تلائم اصطلاحات الجيوش وتوحي بالانتصارات، و ذلك أمثال: الصف، و الفتح، و النصر، والأحزاب.

والمصلح الذي كان القرآن دعامة دعوته وإصلاحه يحس أن بعض السور القرآنية تؤكد له الاستمرار في الدعوة والإصلاح. وذلك في سور أمثال: المؤمنون، والشعراء، والمنافقون، والكافرون. والسياسي يستلهم الحنكة والتدابير والحِكم من أسماء بعض السور أمثال: الشورى، والحشر. وفي فنون الحفريات تذكر أمثال: الكهف، والحديد، والانشقاق.

والصحفي الذي يعاني من مهنة الصحافة أيضا يرى أسماء سور لها علاقة مباشرة بمجال تخصصه، أمثال: سورة الإسراء وسورة النبأ، وغير ذلك. وإنما ضربنا أمثلة فقط بالتخصصات المذكورة هنا. والمهم أن ثَبْت العناوين يجذب الانتباه إلى الدراسة والتعمق في محتوى السورة، وثمّ يُحاول معرفة موقع ذلك الاسم من السورة ومدى تخصيصه بالذكر. وبجانب هذه الخاصية لفهرسة القرآن في اجتذاب الألباب، فإن أسماء السور يمكن إعادة ترتيبها حسب الموضوعات، والنتيجة -بلا شك- تؤكد شمولية هذا الكتاب المجيد أيضا.

يمكن أن تقسم أسماء السور كلها إلى الأشياء المرئية وغير المرئية، فتُصنَّف السور أمثال سورة الرحمن و سورة الجن من جملة غير المرئيات، بينما سائر السور تحشر في المرئيات، وذلك أمثال السور ذات أسماء الناس، والنباتات والدواب والطبيعة، نحو: سورة آل عمران، و سورة نوح، وسورة إبراهيم، وسور النمل، وسورة الدخان، وغير ذلك.

والأمر متروك للناس، فيستطيع كل أحد أن يوظّف الفهرسة حسب تفكيره. فعلى سبيل المثال قد تصنف أسماء السور التي تدل على العقائد من الإلهيات والنبويات في مكان

واحد، وأسماء أخرى متعلقة بالخلق والطبيعة والمجتمع في مكان واحد. وأسماء أخرى متعلقة بالحشر والحساب، وبعض الأسماء المتعلقة بالجنة والنار تصنف في مكان آخر. وأسماء أخرى تتحدث عن الأحكام الشرعية، أو المتعلقة بالعبادات فتصنفان في أمكنة خاصة، والتي تشير إلى الأخلاق والسير الحميدة في مكان آخر، وعن الإنسان وأوصافه في مكان واحد.

والفيلسوف يستطيع تصنيف هذه الأسماء حسب خمسة فروع للفلسفة؛ أعني ما وراء الطبيعة، والطبيعة والأخلاق والجمال والمنطق. والمفكر المعاصر يحلل الأسماء حسب الاقتصادات والسياسة ومغزى الحياة الإنسانية، وما يتبع ذلك من أسباب نهوض الأمم وعوامل انهيارها. وهذا يعني أن أسماء السور نفسها تحتاج إلى تفريدها لإجراء التفسير الموضوعي عليها.

ورأيت تصنيفا حيث كُتبت أسماء السور مع تثبت اسمين أو أكثر للسور ذوات الأسماء المتعددة، فحصل ما يقرب من مائة وعشرين اسما، فصنّفت على أصناف، فكان ما وُصل إليه في مرحلة التحليل والاستنتاج ما يلي[25]:

1. الأسماء التي تعبر عن الظواهر المادية والكائنات الطبيعية مثل البقرة، والرعد، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والشمس، والنجم، والقمر، والدخان، والحديد، وغيرها مما يندرج ضمن الموجودات الطبيعية. وعددها: 32 سورة، وهي من حيث النسبة المئوية: 26/66%
2. الأسماء ذات الطابع السياسي والمواقف الاجتماعية مثل الأحزاب، والمؤمنون، والشورى، والنساء، والصف. وهذه تدور حول أوضاع وأشكال المجتمع.وعددها:27، يعنى 22/5%
3. ما يحمل آثارا تاريخية و فلسفة التاريخ مثل آل عمران والأنبياء ويونس وهود، و يوسف، وإبراهيم وسبأ، ومحمد، والروم، ومريم، ونوح. وهذه كلها تدور حول التاريخ وأبطاله وأحداثه. وعددها: 17 سورة، يعني 14/14%
4. ما تشير إلى المصير والميتافيزيقا وما وراء الطبيعة مثل القارعة، والحاقة، والواقعة، والقيامة. وعددها: 29سورة، و هو 24/14%
5. المسائل الاقتصادية مثل الأنفال، والأنعام، والمائدة. و عددها: 4 سورة، وهو 3/3%

6. الأخلاق و قواعد السلوك مثل عبس والهمزة والمطففين. عددها: 4، يعني 3/3،
7. العبادات والشعائر الدينية: مثل الحج والسجدة. عددها: 2 سورة، يعني 1/7 %

خاتمة:

الغرض من هذه البحث هو التنبيه على نوع علم كبير من علوم القرآن، وتبيين الطرق التي تناولنا مفهوم السورة بالشرح. ثم أدلتنا إلى مساندة توقيفية التسمية للسور بأدلة عقلية ونقلية راسخة، بما لا يبقي للمتأمل شكا في ربانية مصدرها. وأثبت البحث أن الرأي الراجح هو توقيفية ترتيب السور أيضا، فعرضنا -في توضح ذلك- قدرا من الأنقال ودلائل معرفية مما يكفي الشهادة على المقصود. أثار هذا البحث أخيرا مسألة البعد المعرفي لأسماء السور القرآنية من حيث دلالتها على شمولية القرآن و تبيانه لكل، والغرض هو لفت أنظار الباحثين إلى أهمية المسألة، و أنها جديرة أن تفرد لها البحوث، و يقام عليها المؤتمرات لإجلاء مضامين أسماء السور، و علاقتها مع محتوى السور نفسها، و الفوائد المتوخاة من التسمية بها.

المصادر والمراجع

[1] - الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، المنثور في القواعد، تحقيق تيسير فائق أحمد محمود، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط الثانية 1405، (72/1)

[2] - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط الأولى، (339/4)؛ والراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن: تحقيق نديم مرعشلي، بيروت: دار الفكر، (ص/254)

[3] - الرومي، فهد بن عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض: مكتبة التوبة، ط الثالثة، 1415هـ-1994م، (ص/116)

[4] - أخرجه البخاري (3628/629/6-الفتح)

[5] - أخرجه أخرجه الطيالسي (ص/151)، وأحمد (16211/ 9/4)، وأبو داود. والطبراني في الكبير (599/220/1) من طريق عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده-به. المتكلم فيه هو عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفي، فقد قال فيه يحيى بن معين: صالح، وقال أبو حاتم ليس بقوي، لين الحديث (انظر تهذيب الكمال 193/4)، وقال النسائي ليس بقوي ونقل عن ابن معين أنه قال فيه:"صلح"، وقال مرة "ضعيف". وقال الدارقطني:"يعتبر به". و لخص الحافظ ابن حجر هذه الأقوال فقال في التقريب:"صدوق يخطئ، و يهم". وقد خرج له مسلم في صحيحه متابعة. وقال ابن معين و أحمد "إسناد هذا الحديث صالح". فالحديث حسن.

[6] - أخرجه البخاري (4508/388/8-الفتح)

[7] - أخرجه البخاري (4704/381/8-الفتح)

[8] - أخرجه البخاري (4532/193/8-الفتح)

[9] - أخرجه البخاري (4029/329/7-الفتح)

[10] - أخرجه البخاري (4883/629/8-الفتح)

[11] - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2510/495/2) قال:" يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس- به. قال البيهقي:"تفرد به يحيى بن عمرو، و ليس بالقوي".

[12] - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2448 /475/2) من طريق محمد بن عبد الرحمن الجدعاني عن سليمان بن مرقاع عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن عباس- به. قال البيهقي:"تفرد به محمد بن عبد الرحمن هذا، و هو منكر".

[13] - أخرجه البيهقي في الشعب (2523/499/2) قال:" أخبرنا أبو طاهر الفقيه ثنا أبو عثمان البصري قال : قال أبو أحمد الفراء سمعت شبلا يحدث عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال-به". الانقطاع طاهر بين أبي عثمان البصري و الفراء.

[14] - ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير و التنوير، بيروت: مؤسسة التاريخ، ط الأولى، 1420هـ-2000م، (89/1)

[15] - ابن عاشور، التحرير و التنوير، (89/1)

[16] - الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، 1391هـ، (270/1)

[17] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المندوب، بيروت: دار الفكر، 1416هـ- 1996م، (157/1)

[18] - ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن ابن شهاب الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، السعودية: دار ابن الجوزي، ط الثانية، 1422هـ، (468/4)؛ وابن عاشور، التحرير و التنوير (86/1-87)

[19] -ابن تيمية، الفتاوى، دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م، (229/9)

[20] - أخرجه مسلم (61/6- النووي)

[21] - نقله النووي في شرح مسلم (61/6-62)

[22] - الزركشي، البرهان (38/1)

[23] - السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، القاهرة: دار الاعتصام، (ص/72). يستثني الشيخ السيوطي سورتي الأنفال و البراء من التوقيفية، كأنه يستند إلى رواية معروفة ضعيفة. و الصواب، أن الأنفال و البراء كانتا على وضعهما و الحالة التي هما عليه الآن بأمر من النبيﷺ. والحديث مروي عن عوف بن أبي جميلة حدثنا يزيد الفارسي حدثنا ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني وإلى براءة، وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان كان رسول الله مما يأتي عليه الزمان، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية، فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول". أخرجه أبو داود و الترمذي و أحمد. قال الترمذي:"حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من

حديث غريب من حديث عبد العزيز عن ابن عباس" وحسنه الحافظ ابن حجر في نتائج [illegible] الحافظ ابن حجر نفسه إلى ضعفه تفرد في التقريب "المقبول" - يعني إذا توبع، و ضعفه بعضهم كما ذكره أبو عيسى الترمذي.

[24] - رحمت الله الهندي، إظهار الحق، مراجعة و تحقيق عمر التدمري، مصر: مطبعة الرسالة، د.ت.، (87/1-و ما بعده)؛ و موريس موكاي، القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مصر: دار المعارف، 1976م، (ص/17-68)

[25] - شريعتي، علي، الأمة و الإمامة، إيران: مؤسسة الكتاب الثقافية، 1367، (ص/18-19)